التعامل مع التراث الإسلامي
بين المداخل الصحيحة والخاطئة
دراسة تحليلية

د. عطية السيد عطية العادلي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية
أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنصورة .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين ، وخير المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد

فحول الدين الإسلامي الحنيف نشأ التراث الإسلامي ونما بكافة مجالاته المعرفية وتخصصاته الحضارية فلولا القرآن الكريم والسنة النبوية ما كانت العلوم والمعارف التي تكوَّن منها تراث الأمة، وما كان لها هذا الشهود الحضاري الذي كان له تأثيره في كل الأمم وشتى الحضارات .

ولقد ظل هذا التراث ينمو ويزداد حتى انداحت دائرته لتشمل الزمان والمكان ، أما الزمان فأعني به الماضي والحاضر والمستقبل ، وأما المكان فهو الوطن العربي الذي بزغ فيه فجر الإسلام ثم لاح صباحه وأشرق نوره على العالم ليُكوِّن العالم الإسلامي (الوطن الكبير) .

وكان الوحي المعصوم (القرآن والسنة) هو النبع الصافي الذي جرت منه أنهار وجداول هذا التراث العظيم فأصبح الوحي حكمَ عدلٍ وشاهدَ صدقٍ على صحة المسارات التي سار فيها التراث ، أو خطَئِها وليس العكس .

وفي الآونة الأخيرة كثر الحديث عن التراث الإسلامي ، وتناولت قضيتَه أقلامٌ لباحثين ومفكرين ، ونقاد ، ما بين منقب عن الإيجابيات ومفخم لدورها ، ومقدس لنصوصه في بعض الأحيان ، وما بين باحث عن السلبيات ومضخم لآثارها، وباخس لنصوصه في أحيان كثيرة ، وبين كلا الفريقين تاهت معالم الحقيقة بعد أن خبا ضوء مصباح التجرد وحب الإنصاف ، لكن رحمة الله تعالى تداركت الأمة حين قيض لها فريقاً ثالثاً يمثل المنطقة الوسط بين الإفراط في التقديس ، والتفريط في البخس والتدنيس ، فوقف على الإيجابيات فجلى نهارها ، وعلى السلبيات فأبان عوارها .

ولقد كانت آفة عدد من المتحدثين عن التراث أنهم خلطوا بين الوحي الإلهي وبين التراث الإنساني الذي نشأ حوله بل إن الخلط قد ازداد ، والضبابية تكاثفت حينما تم تحكيم التراث على الوحي وليس العكس .

ومن هنا تم التعامل مع التراث الإسلامي من خلال طريقين أحدهما أصاب الهدف ، والآخر جانبه الصواب ، واندرج تحت كل واحد منهما مداخل منها ما كان خاطئاً ومنها ما كان صحيحاً .

وهذا ما حدا بي أن أتعرض للقضية بالبحث والدرس من خلال رصد هذه المداخل واحداً تلو الآخر موضحاً مظاهر الخطأ في كلٍ منها معرجاً على بيان العلاج لهذه المداخل التي انحرفت عن جادة الصواب ، وذلك من خلال عرض المداخل الصحيحة للتعامل مع التراث الإسلامي .

خطة البحث :

سوف ينتظم عقد هذا البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، وفهارس .

أما المقدمة فقد احتوت على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .

وأما التمهيد فقد عُني بتعريف مفردات البحث .

وأما فصوله فقد جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول : المداخل الخاطئة في التعامل مع التراث الإسلامي . ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : رفض التراث بدعوى المعاصرة ، وعدم صلاحيته للواقع .

المبحث الثاني : إعمال العقل في التراث بغية هدمه .

المبحث الثالث : الانتقائية في قضايا التراث .

المبحث الرابع : الخلل في مناهج البحث في التراث .

المبحث الخامس : التقديس المطلق للتراث .

المبحث السادس : العشوائية وغياب التخطيط .

الفصل الثاني : المداخل الصحيحة في التعامل مع التراث الإسلامي . ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : التمسك بالتراث وإبراز ضرورته وصلاحيته للواقع.

المبحث الثاني : فهم المقاصد المتغيَّاة من التراث الإسلامي .

المبحث الثالث : المراجعة للتقويم لا للهدم .

المبحث الرابع : استقامة منهج التعامل مع التراث .

منهج البحث :

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي [١] الذي يعتمد على تحليل جزئيات النصوص المختلفة ومحاولة استنباط ما يتناسب مع موضوع البحث، ولا مانع من الاستفادة من بقية المناهج كالمنهج الاستنباطي [٢] ،حيث إن الفصل بين مناهج البحث أمر غير ممكن .

التمهيد :

سوف أقوم في هذا التمهيد بتعريف التراث بشقيه اللغوي والاصطلاحي ثم أثني بتعريف المداخل ، كما أعرج باختصار لبيان حركة تدوين التراث .

أولاً : تعريف التراث في اللغة والاصطلاح :

أ- التراث في اللغة :

كلمة (التراث) مشتقة من الفعل (وَرِثَ) وهو يعني : آل إليَّ من طريق أحدٍ رحل من قبل، وأصله وِرْثٌ أَوْ وَارِثٌ ، فأبدلت الواو تاء ، فالتراث والإرثُ والوِرثُ مترادفة ، وقيل : الورث والميراث في المال ، والإرث في الحسب [٣] مما يشير إلى الميراث الثقافي ، لأن الحسب هو مفاخر الآباء وشرف الفعال التي يرثها الأبناء ويتغنون بها ، وقد اعتبر الزمخشري هذا الاستعمال الأخير وهو مجد الآباء من قبيل المجاز [٤] ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَرِثُنِي

(١) المنهج التحليلي : ينطلق من استيعاب القاعدة ، أو النسق ، ثم استيعاب الظاهرة أو القضية موضع البحث ، ثم محاولة تحليل الظاهرة أو القضية على ضوء القاعدة أو النسق لاكتشاف مدى وفائها للقاعدة أو مدى التصويب أو التخطيء ، كل ذلك دون خروج في التحليل على القاعدة أو النسق الذي انطلق منه ، انظر: في المنهجية والحوار(سلسلة إسلاميات) د/ رشدي فكار ص ٤٢ .

(٢)المنهج الاستنباطي : هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو عدة قضايا معلومة ، انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، د/ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ، ص١٨٨ .

(٣) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (٢/ ١٩٩) ، دار صادر – بيروت ، ط١ ، د. ت .

(٤) أساس البلاغة ، الزمخشري، ج٢ ، ص ٣٢٧، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، تحقيق : محمد باسل عيون السود .

وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ [(١)]، أَي يَبْقَى بعدِي ، فيصيرُ له مِيراثي [(٢)] .

ووردت كلمة التراث مرة واحدة في القرآن الكريم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ [(٣)] .

ونخلص من هذه التعريفات اللغوية إلى أن كلمة " التراث " في لغة العرب تعني الميراث ، وهو يشمل المال والأحساب ، وقد ورد في القرآن للدلالة على الميراث الديني والثقافي ، وعلى الميراث المادي .

ب- التراث في الاصطلاح :

تعددت أقوال العلماء حول تعريف مصطلح (التراث) حسب الزاوية التي نظر منها كل واحد منهم ، وأذكر هنا أهم هذه التعريفات معقباً عليها لأحاول أن أخرج بتعريف يتسم بالجمع والمنع :

- التراث : " هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون ، أو هو بالتالي كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة " [(٤)]
- التراث:" المكتوبات التي جاءت لنا في صورة مادية مات أصحابها " [(٥)]
- التراث : هو النتاج الإنساني الفكري والوجداني ، الذي خلفته لنا أجيال الأمة الإسلامية السابقة ، ويمكن بلورته وتحديده في أقسام ثلاثة

---

(١) مريم: ٦ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الزَّبيدي ، (٥/ ٣٨١) ، دار الهداية ، د. ت .

(٣) الفجر: ١٩.

(٤) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، د. رمضان عبد التواب ، ص ٨ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

(٥) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، د. خالد فهمي ، د. أحمد محمود ، ص ١٨ ، مركز تراث للبحوث والدراسات ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م .

ضرورية التمييز والفصل ،وهي " التراث الديني " ، " التراث الفكري العام " ، " التراث الوجداني " [1]

وهذه التعريفات الثلاث تحتوي على قيود ثلاث :

١- أن مصطلح التراث يطلق على المكتوبات .

٢- أن يحوي هذا التراثَ المكتوبَ وعاءٌ مادي بأنواعه المختلفة .

٣- أن ينتسب إلى علماء الأمة العربية الإسلامية القدماء (الأموات) .

ويضيف العلامة عبد السلام هارون التدرج الزمني لاستعمال مصطلح " التراث " فيقول : " ظلت كلمة التراث محدودة المعنى والاستعمال تنوب عنها أختها الميراث في كثير من الأمر إلى أن دخلنا في هذا العصر الحديث فألفينا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي ، ماضي التاريخ، والحضارة ، والفنون ، والآداب ، والعلم، والقصص، وكل ما يمت إلى القديم بصلة " [2]

ويمكن أن نخرج من هذه التعريفات الثلاث بتعريف يتسم بالجمع والمنع ، فنقول :

التراث : هو كل ما أثر عن علماء المسلمين المنتقلين مكتوباً ، أو مسموعاً ، أو مشاهداً ، وصحيح النسبة إليهم في مجالات العلوم المختلفة.

ولعلك ترى أنني أضفت هنا ما جادت به قريحة المخترعات الحديثة مما حفظ مسموعاً أو مشاهداً عن علماء المسلمين ، كما أنني أضفت قيد صحة نسبة كل تراث إلى صاحبه .

---

(١) الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان ، ص ٢٠ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

(٢) قطوف أدبية – نصوص نقدية – دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث ، د. عبد السلام هارون ، ص ١٢ ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

ومما ينبغي الالتفات إليه أن التعريفات السابقة كلها عرفت التراث على أنه نتاج بشري محض يدور في فلك الكتاب والسنة ، وهذا يعني أن الوحي المعصوم خارج عن إطار مصطلح التراث .

ثانياً : المداخل :

المداخل جمع مدخل ، والمَدْخَل بِالْفَتْحِ : الدُّخول وَمَوْضِعُ الدُّخول أَيضاً، تَقُولُ : دَخَلْتُ مَدْخَلًا حَسَنًا ودَخَلْتُ مَدْخَلَ صِدْقٍ ، وَيُقَالُ فُلَانٌ حَسَن المَدْخَل والمَخْرَج أَي حَسَن الطَّرِيقَةِ محمودُها [١].

ويتضح من خلال هذه التعريفات اللغوية أن المداخل تعني : مجموعة الطرق والأدوات التي يمكن من خلالها الدخول إلى منظومة التراث وكيفية التعامل معها .

ثالثاً : حركة تدوين التراث :

كان جمع الشعر الجاهلي أول حركة تاريخية جادة لحماية التراث ونشره ، حيث اتجه الاهتمام بجمعه من النصف الثاني للقرن الأول الهجري، ثم ازدادت الحركة في العصر العباسي الأول ، وأخذت في النماء والازدهار[٢] .

وقد قُصد من حركة الجمع والتدوين أول ما قصد حماية لسان الأمة وخدمة كتاب الإسلام وفهم ألفاظه وتوجيه إعرابه ولمح أسراره في التعبير والبيان ، وقد قامت في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، على أيدي أئمة ثقاة من الخبراء ذوي البصر بالشعر وكلام العرب

وجاءت حركة التدوين هذه بتراث ضخم ،عكف الدارسون عليه ، يستخلصون منه معجم ألفاظ العربية ، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، فصل الدال (٥ / ٢٢٩) .
(٢) تراثنا بين ماض وحاضر ، د/ عائشة بنت عبد الرحمن ، ص ١٣ .

وضوابط شعرها ،وأساليبها وخصائصها في التعبير [١] .

كما جاءت حركة الجمع والتدوين بتراث ضخم ،عكف عليه الدارسون عليه ،يستخلصون منه معجم ألفاظ العربية ، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها وضوابط شعرها ، وأساليبها وخصائصها في التعبير [٢] .

واستحدثت الأجيال الإسلامية أنواعاً من التأليف في علوم التفسير والحديث والفقه والعقائد والملل والنحل والفلسفة وتاريخ الإسلام والنظم الإسلامية وتراجم الأعلام وطبقات الرجال ، فتركوا لنا تراثهم الخصب في علوم الإسلام وكان القدر الأكبر منه لمؤلفين من علماء الشعوب التي دخلت في الإسلام وتعربت [٣] .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٤ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٤ .
(٣) تراثنا بين ماض وحاضر ، ص ١٤ .

الفصل الأول : المداخل الخاطئة في التعامل مع التراث الإسلامي

لقد حاول الكثير من ذوي الفكر والثقافة التعرض للبحث في التراث والتنقيب عن ذخائره والتنبيش عن ماضيه القريب أو البعيد السحيق ، وكان لكل واحد بمفرده أو مدرسة بمجموعها وجهة ولَّتها شطر هدف معين ، وغاية محددة ، فمنهم من كان هدفه التنقيب عن الأخطاء الجليلة أو الحقيرة ، إما بغرض تصويبها وبيان عوارها وتحذير العوام والخواص من بلائها ، وإما بغرض صبغ التراث عامة أو مجال من مجالاته خاصة بصبغة سوداوية أو في أقل درجاته رمادية .

ومنهم من كان هدفه إظهار المحاسن في كل مجال من مجالات التراث ، والبحث عن اللآلئ المكنونة فيه ، والجواهر الثمينة التي ذخر بها، والقيام بتجليتها وعرضها في ثوب قشيب .

فأما من نقبوا عن الأخطاء بهدف التشهير ، ووضع التراث في قفص الاتهام ، فلم يكن هذا الهدف هو الهدف الأخير وإنما كان لهم هدف أكبر منه تمثل في اتخاذ هذا دليلاً على عدم صلاحية هذا التراث للواقع ، وبالتالي رفضه برمته بدعوى المعاصرة ، وكان هذا أول مدخل من المداخل الخاطئة التي دخل بها هؤلاء لدراسة التراث العربي والإسلامي .

المبحث الأول : رفض التراث بدعوى المعاصرة، وعدم صلاحيته للواقع

آفة عدد ممن رفعوا راية رفض التراث بحجة عدم قدرته على مسايرة الواقع ، وضرورة المعاصرة أنهم لم يحسنوا :

أولاً : تحرير مصطلح المعاصرة .

ثانياً : فهم مراميها القريبة والبعيدة ، فوقعوا في الخلط بين مفهومي الأصالة والمعاصرة على أساس أنهما على طرفي نقيض بمعنى أن شيئاً لا يمكن أن يكون أصيلاً ومعاصراً في الوقت نفسه ، " ويساء فهم هذه الدعوة فتتجه إلى الانفصام عن الماضي وتنكر العكوف على تراثه ، ويفوتها إدراك

ما في هذا الانفصام من خطر على وجودنا اليوم وغداً " [١]

حيث إنها دعوة " ترمي إلى إخضاع التراث وإعطاء العصر حق القبول من الرفض بحيث يسقط دوره الحقيقي الذي يجعله مناراً هادياً وضوءاً كاشفاً للأجيال حتى لا تنحرف عن طريقها الأصيل وذاتيتها الحقيقية التي شكلتها منذ قرون طويلة " [٢] .

ولتحقيق هذه الدعوة على أرض الواقع حرص أصحاب هذا التيار على اصطناع " المحاولات لانتقاص التراث ووصفه بأنه قديم وبأنه مضطرب وذلك في محاولة للقول : بأن المجتمعات تستطيع أن تزيح هذا التراث وتبتكر من الحلول والأوضاع الجديدة المتفقة مع روح العصر وطبيعة التطور ما تشاء دون الخضوع للتراث أو استملاء روحه " [٣] .

" إن هذه المحاولة تهدف إلى أن نجعل الثقافة المعاصرة وحدة متكاملة للإنسان المعاصر – كما تدعي ذلك هيئة اليونسكو – ولذلك فهي ترى أن تراثنا الثقافي الأصيل لا قيمة له بالنسبة للثقافة المعاصرة التي تخطط لها وترسمها وجل هذه الثقافة المرسومة تتصرف إلى تمجيد المادة لا الإنسان ، وهنا نلمس الفرق بين حقائق تراثنا الثقافي الأصيل والثقافي المرسوم المعاصر والفرق أن تراثنا يمجد الإنسان بينما الثقافة المعاصرة تمجد المادة " [٤] .

وقد تولى رفع راية هذه الدعوى عدد من الماركسيين أو ممن أحبوا الانتماء إلى حقل العلمانية أو يتسربلوا بالحداثة والليبرالية من أمثال :

١- د / زكي نجيب محمود .

٢- د/ محمد عابد الجابري .

---

(١) تراثنا بين ماض وحاضر ، د/ عائشة عبد الرحمن ، ص ٨ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م .

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٢٥٤ ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ، د. ت .

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٥٤ .

(٤) المرجع نفسه ، ٢٥٥ .

٣- المستشار / محمد سعيد عشماوي.
٤- الدكتور / محمد أركون .
٥- الدكتور / فرج فودة .

أما الأول : فقد نظَّر لفكرة القطيعة النهائية مع التراث – خاصة في كتاباته الأولى – متغذياً في هذا التنظير بنزعته الوضعية العلميَّة المبنية على رؤية مفادها أن التقدم إنما يبدأ من نقطة : الفكر الحديث ومكتسباته المعرفية والعلمية ، وبالتالي القطيعة التامة مع التراث والوعي بالتراث [١] .

وأما الثاني : فقد رأى هو الآخر ضرورة بناء الحداثة في الفكر العربي على أرض القطيعة بيننا وبين التراث ، لكن نقطة الخلاف بينه وبين من نادى بالقطيعة أنه كان يرى أن القطيعة لن تتم إلا بعد القراءة والدراسة للتراث وليس قبل ذلك .

" فالتحرر من التراث تحرُّرٌ من سلطانه الفكري ، وهذا لا يحصل إلا متى كشفنا بالتحليل حدود ذلك السلطان الفكرية والتاريخية ، أي : متى استوعبناه من أجل أن نتجاوزه " [٢] .

وقد ضرب أجدادنا المثل الرائع ، والذي يعد دليلاً قاطعاً على مجانبة هذه الدعوى للصواب ، حينما استطاعوا الإفادة من التراث الذي سبقهم سواء انتمى للمسلمين أو حتى لغير المسلمين ، ويظهر هذا جلياً في مجال (علم الكلام) فالفيلسوف الفارابي حاول الجمع بين الفلسفة والعلوم الإسلامية فكتب كتابه (الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو) وقام ابن رشد بالعمل نفسه فكتب كتابه (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من

(١) ظهر هذا جلياً في كتابات د/ زكي نجيب محمود الأولية من أمثال : المنطق الوضعي ، وخرافة الميتافيزيقا ، ونحو فلسفة علمية ، لكنه عاد بعد ذلك في كتاباته عن هذه النظرة فقدم للقراء كتابه (قيم من التراث) والذي طالب فيه بضرورة العودة إلى التراث والإفادة منه ، فقال : " والقيم كثيرة ،تلك التي كانت تنتظم حياة أسلافنا فكراً وسلوكاً ، والتي يمكن أن نستعيرها لحياتنا المعاصرة ، لتكون هي الحلقة الرابطة بين ماض وحاضر " راجع : قيم من التراث ، ص ٧ ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م .

(٢) نقد التراث ، عبد الإله بلقزيز ، ص ٣١٣.

الاتصال) والهدف (تصالحي) بين الإسلام والفلسفة اليونانية .

أما العلمانيون في بلادنا العربية والإسلامية فقد ناصبوا التراث العداء، واعتقدوا أنه السبب في تأخرنا وتراجعنا عن ملاحقة ركب الحضارة والتمدن الغربي ، ونسوا أن العودة إلى التراث هي أساس الانطلاق لبناء الحضارات، " وكل من يتابع نهوض الأمم – قديماً وحديثاً – يجد أن العودة إلى التراث أولاً ، واتخاذه نقطة ارتكاز وانطلاق هو القاسم المشترك بينها " [١].

يقول د. برهان غليون : " إن الثقافة الغربية الحديثة – بقدر مشاركتها الفعالة في الحضارة – أكثر فعالية من كل الثقافات الأخرى ارتباطاً بالتراث، وإحياء وتمثلاً له ، وليس هناك من يطرح مسألة التراث والمعاصرة " [٢].

هذه **واحدة** : بمعنى أن الأمم كلها تدرك تمام الإدراك أن حاضرها ومستقبلها لابد أن يستلهما الذخائر من ماضيها .

وأما **الثانية:** فهي أنه ليس من الغريب أن يشغب غيرنا على تراثنا ، ويحاول أن يحبسه في قفص الاتهام ، لكن الغريب والمريب ، والذي لم يحدث في أمة كما حدث ويحدث في أمتنا أن تشكو فئة من الأمة من تراثها، وتصطنع منها مشكلة تستحق الأخذ والرد والمناقشة .

" إن الأمم كلها تفتخر بتراثها ، تدرسه وتقلبه على أوجه مختلفة تعيش عليه وتستثمره ، وليس هناك أمة تطرح على نفسها استبدال الحاضر بالتراث ، أو نفي التراث ونفي الحاضر " [٣]

(١) حوار حول التراث والحداثة ، د. نعمان عبد الرازق السامرائي ، ص ٢٠ ، سلسة كتاب الأمة ، ع ١٧٠ ، ١٤٣٦هـ

(٢) اغتيال العقل ، د. برهان غليون ، ص ١٥٩ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٤ ، ٢٠٠٦م .

(٣) حوار حول التراث والحداثة ، د. نعمان عبد الرازق السامرائي ، ص ٣٤ .

المبحث الثاني : إعمال العقل في التراث بغية هدمه

قرر أصحاب الآليات الاستهلاكية العقلانية من دارسي التراث إلى أن المنهج العقلاني هو أقدر المناهج على توفير الاستفادة العلمية من التراث ، وقد أدى بهم اعتماد هذا المنهج إلى تشريح التراث شرائح متعددة ومتباينة، ليتم انتقاء ما يبدو لهم منها أقرب إلى الاستجابة لمعايير العقلانية ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين الشرائح التراثية التي تمثل النموذج العقلاني ، فمنهم من قال بأنها النصوص الفلسفية ، ومنهم من يرى أنها النصوص الفقهية ، ومنهم من يعتقد أنها النصوص اللغوية ، ومنهم من يذهب إلى أنها النصوص الكلامية ، ومنهم من يجمع بين أجزاء هذه النصوص ، فما كان من هذه النصوص واضح الانتساب إلى العقلانية لزم – في نظرهم – تحقيقه والانتفاع به وفق مقتضيات الحداثة وشروط التطلع إلى المستقبل ، وما كان منها مجانباً أو مخاصماً لهذه العقلانية ، وجب عندهم تركه ؛ لأنه – باختصار شديد – لن يحقق لهم بغيتهم ولا مطلبهم المتمثل في زعزعة العلاقة القائمة بين الأجيال المسلمة وتراثها التليد .

يقول د. محمد عابد الجابري : " إنه بدون التعامل النقدي العقلاني مع تراثنا لن نتمكن قط من تعميم الممارسة العقلانية على أوسع قطاعات فكرنا العربي المعاصر ، القطاع الذي ينعت بـ (الأصولي) حيناً ، وبـ (السلفي) حيناً آخر " [١] .

وهذا يؤكد أن الجابري يريد حثَّ رفاق دربه من الحداثيين على أن أفضل طريقة لمواجهة الارتفاع في الخط البياني لعودة الالتزام بالإسلام في جنبات الأمة هو مواجهتها من داخل التراث نفسه بزعزعة السلطات الشرعية التي تحكم العقل العربي والإسلامي .

---

(١) بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، د. محمد عابد الجابري ، ص ٥٦٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٩ ،٢٠٠٩م .

ويعلق د. طه عبد الرحمن على استخدام هذا المنهج العقلي التجريدي موضحاً أن الفئة التي نادت به وبضرورة الاعتماد عليه في نقد التراث عليها اعتراضات ثلاثة [١] :

أولها : أنها لم تبرهن على تحصيل الدُّربة في استخدام الآليات العقلانية المنقولة من مفاهيم مصطنعة وقواعد مقررة ومناهج متبعة ونظريات مسطرة ، فضلاً عن أن تبرهن على الإحاطة بتمام تقنياتها وبكمال وجوه إجرائياتها .

ثانيها: أنها لم تمهد لإنزال هذه الآليات العقلانية على التراث بنقد كاف وشامل لها ، حتى يتبين مدى كفايتها الوصفية وقدرتها التحليلية وقوتها الاستنتاجية .

ثالثها : أنها لم تُجْرِ النقد على العقلانية المعاصرة من حيث هي اختيار منهجي مخصوص ، لا سيما وأن المراجعة قد أخذت تتطرق إلى هذا الاختيار ، وأن حدوده أخذت تفقد دقتها ووضوحها في موطنه الأصلي عند من وضعوا أصوله ورتبوا مسائله.

وليس مثار الاعتراض هنا على المنهج العقلاني في حد ذاته ، وإنما على طبيعة المنهج المستخدم ؛ حيث إنهم اعتمدوا على المنهج العقلاني بطبيعته الغربية الموسومة بفحش التجريد ونقص التوجيه ، وكان ينبغي عليهم القيام بالنقد الشافي لهذه العقلانية قبل الدخول في نقد التراث بواسطتها.

" غير أن إصرار هؤلاء الدارسين على التمسك بالعقلانية المجردة وغير الموجهة التي ورثوها عن الغير ، فوت عليهم إدراك خصوصية المعرفة التراثية " [٢].

(١) تجديد المنهج في تقويم التراث ، د. طه عبد الرحمن ، ص ٢٥ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٣م .

(٢) تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص ٢٦ ، سابق .

هذه المعرفة التراثية الإسلامية تتجلى في كونها " ليست ذات اتجاه نظري خالص كأدوات العقلانية المجردة المنقولة ، وإنما لها تعلق راسخ بـ " الحقيقة العملية " ذلك أنها تتصل بالقيم السلوكية وتكتسب بالتعاون مع الغير في إظهار الصواب وتحقيق الاتفاق " (١)

لأجل هذا الفارق الهائل بين كلا المنهجين فإن " إنزال معايير العقل النظري المنقولة على مثل هذا العقل العملي الذي تميز به التراث ، لن يؤدي إلا إلى أمرين :

إما إلى استبعاد أجزاء من التراث بحجة ضآلة درجتها من العقلانية أو انعدامها منها ، وإما إلى حمل أجزاء منه على وجوه من التأويل تفصلها عن بقية الأجزاء الأخرى ." (٢)

إذا نخلص من كل ما سبق أن الاتجاهين العلماني والحداثي قد اعتمدا على آليات العقل النظري المجرد للحكم على التراث الإسلامي الذي بني في الأساس على العقلانية العملية ، مما أفضى بذوي هذا الاتجاه إلى الوقوع في فخ قطع الصلات بين أقسام هذا التراث ، بانتقاء بعضها وإسقاط البعض الآخر ، وهذا هو عين المدخل الثالث من المداخل الخاطئة .

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦ .

المبحث الثالث : الانتقائية .

اتسمت علاقة جُلِّ الباحثين العرب (تراثيين – حداثيين) بالتراث العربي والإسلامي بنزعة الانتقائية ، وإن اختلفت الأنصبة بين من كانت عنده منهجاً ثابتاً في التفكير ، وهم التراثيون ، ومن انزلق إليها تحت وطأة الحاجات الأيديولوجية كما عند الحداثيين .

وأهمل كلا الطرفين الاتشاح بالنظرة الكلية إلى التراث بوصفه كُلاً ثقافياً غير قابل للقسمة ، مثلما تفرض ذلك مقتضيات البحث العلمي ؛ فانصرفوا إلى اقتطاع أجزاء منه بعينها ، والاشتغال بها على أنها المادة التمثيلية لكلية ذلك التراث ، أو الوجه المشرق منه .

وراح كل فريق ينتقي ما يحلو له من التراث بما يخدم التوجه الفكري الذي يتبناه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة :

فحين ازدهر الاهتمام بأفكار السلف ، وبالعقيدة الأشعرية من قبل الأصاليين ، انطلق الحداثيون لإحياء الفكر المعتزلي في العدل وحرية الإرادة الإنسانية ؛ وطفقوا يبحثون في جذور العقلانية في الإسلام [1] .

وحينما نهض التراثيون لدراسة علوم القرآن ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، وجَّه الحداثيون بوصلتهم شطر الفلسفة والمنطق والعلوم ، وكادوا أن يحصروا البحث فيها .

وحين بدأ صعود الحركات الإسلامية في أوائل عقد السبعينيات يأخذ شكل حلف سياسي مع النظم العربية ضد اليسار والشيوعية ، وينشر أفكاراً مناهضة لليسار ازدهرت في خطابات الحداثيين وكتاباتهم عملية البحث للثورة (المعاصرة) عن جذورها في التراث ، فانصرف دارسون كُثُر إلى الكتابة في تاريخ الحركات الثورية في التاريخ الإسلامي ، والتعريف بحركات

(١) لعل د. حسن حنفي ، ود. محمد عابد الجابري هم من حملوا لواء إعادة الخطاب الاعتزالي ، وإعلاء شأنه ، ورفع مكانته .

الخوارج ، والشيعة ، والقرامطة ، وثورة الزنج ... إلخ [١]

هذا ومن الضروري التنبه إلى ارتباط منهج الانتقائية لدى الحداثيين باقتفاء أثر بعض التيارات الفكرية والمدارس البحثية في الفكر الغربي .

" فحين ازدهرت علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، وعلم التاريخ في سنوات الخمسينيات والستينيات في أوروبا ، ازدهر الاهتمام بابن خلدون في دراسات الحداثيين ، وتناهَبَتْهُ فئات ثلاث من الدارسين (علماء الاجتماع ، والمؤرخين ، والفلاسفة .

وعندما انتشرت الماركسية والمنهج المادي التاريخي ، في الجامعات العربية والمؤسسات الثقافية أوائل السبعينيات ،انصرف باحثون عرب إلى الكتابة في الجذور المادية في الفلسفة العربية – الإسلامية [٢].

وكما كان اقتفاء الحداثيين لخطوات أساتذتهم من المستشرقين دافعاً قوياً للانتقائية التراثية ، كان اقتفاء التراثيين آثار القدامى من علماء المسلمين دافعاً للانتقائية أيضاً ، ولتكن قضية غير المسلمين في بعض الفقه الإسلامي مثالاً على ذلك .

" إن بعض كتب الفقه الإسلامي قد تناولت بعض قضايا غير المسلمين في بعض الأحيان بما يتعارض مع ظاهر نصوص القرآن وظاهر أحاديث الرسول ﷺ وظاهر روح الشريعة الإسلامية ، واقتفى اللاحقون أثر السابقين في تناول أحكام أهل الذمة " [٣] مثل التضييق عليهم في الطرقات ، وإرغامهم على ارتداء بعض الشارات ، وعدم إلقاء السلام عليهم ، وما درى هؤلاء أن هذه كانت وقائع فردية اتخذها بعض خلفاء الدولة الأموية والعباسية كنوع من أنواع تدابير السياسة والملك ، وكرد فعل على بعض أفعال أهل

---

(١) للمزيد راجع : نقد التراث ، د. عبد الإله بلقزيز ، ص ٤٨ مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٤ م .

(٢) نقد التراث ، د. عبد الإله بلقزيز ، ص ٤٩ .

(٣) التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس ، د. بكر زكي عوض ، ص ٥٢ ، سلسلة قضايا إسلامية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ، عدد ١٢٥ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

الذمة في جنبات المجتمع الإسلامي ؛ لكن اللاحقين اتخذوا من هذه الوقائع التي ناسبت أزمنة معينة قوانين يجب سحبها وتطبيقها في كل عصر ومصر، وفي ذات الوقت تمَّ غضُّ الطرف عن النصوص الواضحة والصريحة التي تحثُّ على إكرام غير المسلم ، وتوقيره واحترام خصوصياته سواء كانت هذه النصوص وحياً معصوماً ، أو أقوال فقهاء وعلماء ثقات .

المبحث الرابع : الخلل في مناهج البحث في التراث

هذا المدخل يرتبط بالذي قبله ، فالذي دفع إلى الانتقائية في التعامل مع التراث هو غياب المنهجية العلمية خاصة عند الحداثيين .

فالحداثيون قد اقتفوا أثر أساتذتهم من المستشرقين الذين اعتمدوا مناهج البحث الغربية [١] ، والتي انحرفت عن جادة الصواب بسبب المؤثرات الفكرية المتصلة بالفلسفات المادية ، وإنكار الألوهية والنبوة والوحي والروح ، وكل ما لا يقع تحت دائرة الحس ، وبالرغم من كل تلك المساوئ لهذه المناهج فقد تبعها نفر من الحداثيين إعجاباً بخطواتها وانبهاراً بنتائجها .

وقد ظهر هذا واضحاً جلياً في محاولات هؤلاء الحداثيين في إقامة علاقات الوصل ، وأحياناً الانطباق بين المفاهيم الغربية والمفاهيم الإسلامية، فجمعوا " بين الشورى والديمقراطية ، بين الإجماع كآلة فقهية والرأي العام ، بين المصالح في فقه المقاصد الشرعية والمنافع العمومية ، أو المصلحة العامة ، بين البيعة والعقد الاجتماعي ، بين أهل الحل والعقد ونواب الشعب في البرلمان ، بين الحسبة والرقابة التشريعية " [٢]

وهكذا فعل خير الدين التونسي حينما استضاف أفكار ابن خلدون في نقد الاستبداد ليجاورها مع أفكار مونتسكيو [٣] ، وفعل فرح أنطون [٤] حينما

---

(١) يمكن حصر هذه المناهج الاستشراقية في : المنهج التاريخي ، المنهج التحليلي ، المنهج ، منهج التأثير والتأثر .

(٢) نقد التراث ، د. عبد الإله بلقزيز ، ص ٢٦ .

(٣) مونتسكيو : فيلسوف فرنسي ولد عام ١٦٨٩م بالقرب من مدينة بوردو جنوب غرب فرنسا لعائلة أرستقراطية ،وتلقى تربية مسيحية محافظة ، إلا أنه ابتعد عن الدين ، ومن أشهر كتبه " روح الشرائع " توفي عام ١٧٥٥م ، انظر : روح الشرائع ، مونتسكيو ، ترجمة : عادل زُعيتر ، ج١ ، ص (ج – م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٠م .

(٤) فرح أنطون : ولد في طرابلس من أعمال لبنان الشمالي ، عام ١٨٧٤م لأسرة معروفة بالثراء، تلقى تعليمه الابتدائي بدير بكفتين ، احترف الأدب والكتابة الصحفية وانتقل إلى الإسكندرية عام ١٨٩٨م ، أنشأ مجلة الجامعة وغيرها ، وله العديد من المؤلفات الأدبية مثل "مصر الجديدة " و " أبو الهول يتحرك " و" السلطان صلاح الدين " توفي عام ١٩٢٢م . انظر: فرح أنطون ، صعود الخطاب العلماني ، سمير أبو حمدان ، ص ١– ٣٤ ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب العالمي ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

استعاد عقلانية ابن رشد في ضوء قراءة أرنست رينان له ، وذلك في كتابه (ابن رشد وفلسفته).

وكان من نتيجة اعتماد هذه المناهج أن يطالعنا د. حسن حنفي – وهو ماركسي الفكر والثقافة – بتبني نتائج في تأويل العلوم الإسلامية تناقض العقل والمنطق ، كقوله مثلاً عن أصل العقيدة الإسلامية وهي الألوهية : " كل ما نعتقده ثم نُعظمه تعويضاً عن فقد يكون في الحس الشعبي هو الله ، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو في الشعور الشعبي هو الله ..، فالله تعبير أدبي أكثر من كونه وصفاً لواقع .. ، فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية ، وعند المظلوم هو العدل.. ، فإذا كان الله هو أعز ما لدينا فهو: الأرض والتحرر والتنمية والعدل " [(١)].

كما أن زميله نصر حامد أبوزيد يقدم اعترافاً على الحداثيين والعلمانيين طوال القرنين الماضيين أنهم قد استغلوا التراث لشرعنة التغريب ، فيقول : " إن الاستخدام النفعي الذرائعي للتراث كان نهج مفكري التنوير ، وهو الذي عاقهم عن تحقيق انقطاع جذري عن النقيض السلفي " [(٢)].

أما الطيب تيزيني ، وحسين مُروَّة ، فقد اعتمدا المنهج المادي التاريخي حال تنقيبهم وبحثهم في بطون التراث ، وقد كانت عقولهم مشربة – آنذاك – ومتأثرة بالفكرة الماركسية المادية ، وهي التي دفعتهم للبحث في التراث للدفاع عن رؤية مادية وجدلية للعالم ، "ولما كان التعبير عن تلك الرؤية يجرُّ عليهم اتهامات بالإلحاد أو بنشر أفكار تُجافي نظرة الإسلام إلى الطبيعة والوجود ، فقد وجدوا أنفسهم مدفوعين إلى البحث في تراث الإسلام عن مقدمات ، أو إرهاصات مادية تبرر لهم القول إن ماديتهم ليست مستوردة من خارج ،وإنما لها جذور في تاريخنا الثقافي ، وأنهم لا يقلون

(١) التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، حسن حنفي ، ص ١١٣ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٩٩٢م

(٢) نقد الخطاب الديني ، د/ نصر حامد أبوزيد ، ص ٢٠٢، ٢٠٣ ، سينا للنشر، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٤م .

أصالة عن المحافظين ، ولا أقل وفاء للتاريخ العربي الإسلامي منهم " [١] .

وقد ترتب على اتباع هذا المنهج (المادي – التاريخي) من هذه الثُّلَّة إدخال مفاهيم لم تكن مستساغة قبل ذلك ، مثل العوامل المادية (الاجتماعية والاقتصادية) في تفسير ظواهر تاريخية وثقافية لا تقبل التفسير عند التراثيين إلا بالعوامل الروحية أو الثقافية .

كما تم استعمال مفاهيم جديدة على المجتمع المسلم مثل : الطبقة ، والصراع الطبقي ، وعلاقات الإنتاج الرأسمالية ، والبرجوازية [٢] .

وممن لزموا المنهج التاريخي في تفسير التراث والتعامل معه من الناحية المقاصدية د/ عبد المجيد الشَّرْفي ، حيث دعا إلى التفكير في معنى الصلاة ، والزكاة ، والحج اليوم ، في ضوء رؤية تاريخية لا تذهل عن اتصال كيفيات أداء هذه الشعائر بظروف المسلمين الأوائل في الحجاز ،كما لا تذهل عن جوهر رسالة الإسلام ومقصِدها من هذه الأوامر المتعلقة بالعقيدة و العبادات .

وأعرض هنا رأي الرجل في شعيرتي الصلاة ، والزكاة بناء على اعتماده على هذا المنهج التاريخي في نظره .

فأما الصلاة ، فلا يمكن للفقه الإسلامي أن ينسينا أن القرآن لم ينص على عدد الصلوات ، وكيفياتها (من نية ، وطهارة ، ووضوء ، وإقامة ، وأداء ...) ، ولو أن هذا كله بُني على سنة النبي ، لكنه لا يُبدي اليقين بأن

---

(١) نقد التراث ، د/ عبد الإله بلقزيز ، ص ١٣٨ ، سابق .

(٢) وقد ظهر هذا جلياً وواضحاً فيما سطره طيب تيزيني في كتابه : من التراث إلى الثورة : حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي (بيروت : دار ابن خلدون ، ١٩٧٦م) ، كما ظهر ذلك أيضاً فيما كتبه حسين مروة في كتابه : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، وهو الكتاب الذي نذر مروة له أكثر من عشر سنوات انتهت في أغسطس ١٩٧٨م ، بعدما فرَّغه الحزب الشيوعي اللبناني وأرسله إلى موسكو لإنجاز مهمة البحث عن نزعات مادية وماركسية في فلسفة العرب والمسلمين وتراثهم الفكري والمعرفي ،وقد تلقف الماركسيون الكتاب بالترحاب الشديد وكتاب (التراث العربي والعقل المادي : دراسة في فكر حسين مروة) للباحث / موسى برهومة .

هذا النحو النبوي من الصلاة قد يكون – هو نفسه – تغَّير خلال فترة الدعوة، وأن المسلمين التزموه في كل الأمكنة ،وذلك لغياب أدلة على ذلك من التاريخ ، غير أن أكثر ما يهمه هو ما إذا كان على المسلمين اليوم وفي ظروف مختلفة أن يمارسوا الصلاة على النحو عينه : في شمال الكرة الأرضية ، مثلاً ، حيث " يطول النهار صيفاً حتى لا يكاد أن يوجد ليل ، ويقصر شتاء حتى لا يكاد أن يوجد سوى الليل " [١] ، فهل هؤلاء – على حد سؤاله – " غير معنيين برسالة محمد كالذين يعيشون في المناطق المعتدلة التي لا فرق فيها كبير بين طول النهار صيفاً وشتاء ، وكذلك الذين يعيشون في المجتمعات الصناعية حيث تفرض مقتضيات الآلة أنساقاً في الحياة والعمل لا صلة لها بأنساق الحياة والعمل في المجتمعات الرعوية والزراعية والتجارية ، وبصفة أعم كل من بعدت أنماط حياتهم المعقدة عن بساطة أنماط الحياة التقليدية " [٢] .

ثم يقدم رأيه – بناء على رؤيته التاريخية – تجاه أداء هذا الفريضة ، محاولاً فيه الملاءمة بين المأثور في التعبد عند من يقوى عليه ، وبين ما يمكن تسميته بالصلاة الداخلية ، و " حاجة المؤمن إلى الاعتكاف والتأمل ومحاورة الذات والدخول بين الحين والآخر في وضع خاشع يُحاسب فيه نفسه وينقطع عن المشاغل العادية " [٣] .

وأما بالنسبة لفريضة الزكاة ، فإنه في الوقت الذي يتفق فيه مع ملايين المسلمين الذين يعتقدون بفرضيتها بناء على ورود الأمر بها في القرآن ، يرى أن القرآن " لم يحدد مقاديرها ولا قصد تعيين كل ما ينبغي أن تؤدى عنه ، بينما يبقى المبدأ صالحاً على الإطلاق ويدل على وجوب

(١)الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، د/عبد المجيد الشرفي ، ص ٦٢ ، بيروت – لبنان ، دار الطليعة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٢ .
(٣) المرجع نفسه ، ص٦٣ .

التضامن بين الأغنياء والفقراء " [١] .

ولذلك فهو يرفض – حسب رؤيته التاريخية – الاعتراف بما اعتمده المسلمون من إخراج الزكاة حسب أنصبتها ومقاديرها الموضحة في السنة النبوية ، حيث أنه يتنافى مع روح العصر ، فيقول : " أما الوقوف بالزكاة عند أصناف المال الموجودة في عهد النبي وعند وجوه إنفاقها ، فلا يدل على أقل من ضيق الأفق ومن تجاهل المقصد منها ،كما يدل على عدم الوعي بأهمية الصيغ الحديثة من التضامن التي مثَّلت تقدماً لا يُنكر بالنسبة إلى أوجه التكرم والإنعام القديمة ، ولعلها أقرب إلى روح الرسالة " [٢] .

وإذا كان اعتماد منهج القراءة التاريخية – المقاصدية – في تعاليم الإسلام قد وصل إلى هذه الدرجة من الجرأة في أمور العبادات ، فإن اعتماده في أمور المعاملات ،التي يراها " الشرفي " " قد أثقلت بالخطاب الفقهي الذي تنزل منزلة المستأنف للنص باسم " الاستنباط " من دون مراعاة عوامل التاريخ والتبدل " [٣]

هذا بالنسبة لمنهج البحث في موضوعات التراث ، والمنهج نفسه تم اتباعه في آليات البحث في قضية " تأريخ التراث ".

فإذا كان الحداثيون يعدون جرجي زيدان (١٨٦١– ١٩١٤م) رائد مشروعات " تاريخ التراث " من خلال عمله العلمي المعنون بـ " تاريخ التمدن الإسلامي " فإنه قد اعتمد فيه على التركة الاستشراقية ، حيث صرح في مقدمات كتبه وفي حواشيها بالمصادر الاستشراقية التي نقل عنها من كتب أو مجلات علمية ، وكان المستشرق الروسي كراتشكوفسكي من المعجبين بمنهج زيدان ، وقد " كتب ترجمة تبجيلية عنه لصالح دائرة المعارف

(١) المرجع نفسه ٦٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ٦٧ .

الاستشراقية الأولى ، نشرت عام (١٩٣٦م) ... حيث يقول : (وكتابه " تاريخ التمدن الإسلامي " ٥ أجزاء، هو أهم مصنفاته التاريخية جميعاً ، وقد بناه على المصنفات الأوروبية المشهورة ، التي وضعها سديو وكريمر وجولدزيهر وغيرهم ، وقد أضاف إليه كثيراً من المعلومات استقاها من المصادر العربية) " [١]

وتسلم الراية من بعد زيدان الأستاذ أحمد أمين (١٨٨٦- ١٩٥٤م) والذي سار على نهج سلفه حينما كتب سلسلته المشهورة فجر الإسلام (جزء واحد : ١٩٢٩م) ، وضحى الإسلام (ثلاثة أجزاء :١٩٣٣- ١٩٣٦م) ، وظهر الإسلام (أربعة أجزاء : ١٩٤٥- ١٩٥٣م) ، ويوم الإسلام (جزء واحد : ١٩٥٢م) .

" والحقيقة أن سلسلة أحمد أمين هذه كادت أن تكون إضافة علمية مميزة في " تأريخ التراث " لولا أنه كان مهزوماً أمام تحليلات المستشرقين ، مذعناً لطعونهم في العلوم الإسلامية " [٢] ، وقد أكثر فيها من الاستشهاد بآراء المستشرق الأمريكي ماكدونالد ، كما أنه صرح بكل وضوح تطبيق مناهج البحث الاستشراقي ، فيقول: " كتاب (تاريخ الفلك عند العرب) للأستاذ نللينو، قرأته بإمعان ، واستفدت منه كيف يبحث كبار المستشرقين..، فإن قلت أنني استفدت منهج البحث من هذا الكتاب لم أبعد عن الصواب"[٣].

(١) التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات ، د. إبراهيم السكران ، ص٤٧ ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

(٢) التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات ، ص٥٠ .

(٣) حياتي ،أحمد أمين ، ص ١٠٧، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط١ ،٢٠١٢م .

المبحث الخامس : التقديس المطلق للتراث

إذا كان رفض التراث وازدراؤه برمَّته خطأً محضاً ، فإن قبوله قبولاً تاماً، والتعامل معه بقداسة مطلقة أشد خطأً ، بل أشد خطراً ، وأعظم بلاء ، حيث إن التعامل بقداسة مع نصوص وآراء نسبت لعلماء ورجال أثبت أنه بنيت عليه أحكام نسبت إلى الشرع وهو منها براء ، كما هو الحال في قضايا التعامل مع غير المسلمين ، وهذا من أخطر المداخل الخاطئة في التعامل مع التراث .

وهذا يقتضي من القائمين على إعادة إحياء التراث إعلاء شأن وقيمة عرض كل أقوال وجميع آراء مجتهدي الأمة على صحيح المنقول وصريح المعقول كما فعل سلفنا الصالح .

فمما هو مأثور في تراثنا قول ابن عباس – رضي الله عنهما – ونقله عنه تلميذه مجاهد ونقله عنهما الإمام مالك – رحمه الله – : " لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)]" .

ويقول ابن تيمية – رحمه الله – : " وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا مِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ يَجِبُ لَهُمْ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ؛ بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا تَجِب طَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَلَا الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ؛ بَلْ يُعْرَضُ أَمْرُهُمْ وَخَبَرُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَا وَافَقَ الْكِتَاب وَالسُّنَّةَ وَجَبَ قَبُولُهُ وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَكَانَ مُجْتَهِدًا مَعْذُورًا فِيمَا قَالَهُ

(١) الفتاوي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، ١/ ١٤٨ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د. ط ، د. ت .

لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ " [1]

فالتراث يمثل جهد الإنسان ، ولأن الإنسان ليس كاملاً ولا معصوماً ، لذا فما ينتجه لن يكون معصوماً من الخطأ ، أو بريئاً من النقصان .

خاصة وأن " التراث ليس معطىً واحداً ، بل هو اتجاهات وتيارات عبّرت عن مواقف وقوى اجتماعية وعن إيديولوجيات ورؤى مختلفة " [2] .

وحتى لا يكون الحديث دعوى بلا دليل ، أقدم هنا واحداً من أهم مظاهر تقديس التراث ، وهو :

- **استدعاء القديم لتفسير كل ما هو جديد :**

حيث يطيب للناظرين في التراث نظرة تقديس العودة إلى نصوصه لاستنطاقها وتحكيمها فيما يَعِنُّ لهم من قضايا حتى وإن كانت هذه النصوص قد عفا عليها الزمن أو أن أصحابها قد دوَّنوها على حسب ما ناسب عصورهم وما ارتقت إليه فهومهم .

وخذ مثلاً على ذلك بالنصوص الواردة في تفسير الآيات الكونية وما دلَّت عليه من حقائق علمية ، حيث " إن أكثرها مأخوذة من الفكر اليوناني أو الهندي أو الفارسي أو الإسرائيلي ، ويمكن القول : إن أكثرها مأخوذة من التراث الإنساني فلا يتأتى جعله بياناً للنص الكوني في عصر العلم التجريبي التطبيقي " [3]

ولعل كتاب " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " لفضيلة الشيخ طنطاوي جوهري ، والذي طُبع في النصف الأول من القرن الهجري الماضي كان بمثابة خطوة في طريق تصحيح هذه النظرة التقديسية ، وقد تلتها عدة خطوات من أهمها ما قام به د. زغلول النجار من بيان الحقائق العلمية التي

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ١١/ ٢٠٨ .

(٢) مفهوم النص :دراسة في علوم القرآن ، نصر حامد أبو زيد ، ص٦ ، بيروت : الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ط٦ ، ٢٠٠٥م .

(٣) التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس ، د. بكر زكي عوض ، ص ٥٨ .

اشتملت عليها الآيات القرآنية الكونية والإنسانية ، وكذلك ما ورد في مدونات الحديث النبوي متعلقاً بذات القضية .

وإذا طوينا صفحات علم التفسير لنفتح صفحات علم الفقه الإسلامي فسنجد مثلاً أننا قد حفظنا منذ الصغر أن الحكمة التشريعية من عدة المرأة هي حكمة تعبدية محضة ، يضم إليها علة استبراء الرحم ، وعدم اختلاط الأنساب ، وما يزال هذا يُردد في فصول الدراسة في المعاهد والكليات الأزهرية مع أن العلم الحديث قد قدَّم التفسيرات العلمية لهذه القضية الشرعية، بمختلف أنواعها وأشكالها ، وكان من الأحرى أن تضم هذه الحقائق العلمية إلى أسطر الحكمة التعبدية فتتربى عقول الناشئة الأزهرية على الخروج من بوتقة التقديس المُحجرة لآلة النظر والتفكر والتدبر إلى دائرة التطلع للحقائق العلمية واستخدامها أداة من أدوات الدعوة الإسلامية .

وفي عالم الطب مازال البعض يعتقد أن مؤلفات " الطب النبوي " وعلى رأسها ما سطره قلم الإمام ابن القيم بنفس العنوان تُغني بقراءتها وتطبيق ما ورد فيها عن كل ما تم اكتشافه في عالم الطب والدواء ، وكل هذا نبت وترعرع في أرض التقديس لمدونات التراث .

المبحث السادس : العشوائية وغياب التخطيط

إذا كان إحياء التراث وتقريبه ، وتيسيره ؛ ليكون سهل المنال بين يدي طلاب العلم ودارسيه أصبح مطلباً ملحاً فإن نظرة سريعة إلى كيفية إجراء هذه العملية تُري كل ذي عين ناقدة أنها تتم بصورة عشوائية انتقائية من حيث " عدم الوضوح الاستراتيجي ، وعدم تقديم الأولويات ، بل عدم الاتفاق على قواعد نشر محددة " [1]

ومن أوضح الأدلة على ذلك واقع المؤسسات التي نيط بها العمل على إحياء التراث الإسلامي حيث إن عندنا – في القطر المصري فقط – لجنة لإحياء التراث بالهيئة العامة للكتاب ، ولجنة لإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ولجنة ثالثة للتراث بمجمع البحوث الإسلامية ، فضلاً عن الأقسام العلمية بالكليات الشرعية المنوط بها إحياء التراث الإسلامي وتحقيق نصوصه ولا يوجد رابط يربط بين هذه اللجان المنبثقة عن تلك المؤسسات ، فينظم خطتها ، ويوحد رؤيتها ، ويجمع شتات جهودها المبعثرة، ولو نُسِّقت هذه الطاقات ونُظِّمت فربما وصلنا إلى مكتبة عربية تراثية متكاملة .

علماً بأنه كانت هناك بدايات لإحياء التراث الإسلامي اتسمت بالتخطيط ، وحسن التنسيق ، وقد رصد د. محمد عمارة بعضاً من هذه البدايات المنظمة ، فأشار إلى تجربة رفاعة الطهطاوي التي بدأها في منتصف القرن الماضي وقد مثلت اول مشروع لإحياء التراث العربي ، وأخذت مطبعة بولاق منذ سنة (١٨٥٧م) تقدم الأعمال الفكرية التي اقترحها الرجل وتلامذته " تصحيحها " أي – تحقيقها – ونشرها على الناس .

كما أشار إلى تجربة الإمام محمد عبده حيث أسس في سنة

(١) التراث والمعاصرة ، د. أكرم ضياء العمري ، ص ٣٧ ، سلسلة كتاب الأمة ، ط١ ، شعبان ١٤٠٥هـ .

(١٩٠٠م) جمعية إحياء العلوم العربية ، وكانت لها جهود كبيرة في هذا المضمار .

ولم ينس ذكر إقرار مجلس النظار ميزانية رصدت لإنجاز مشروع لإحياء التراث أعده أحمد زكي أفندي سنة (١٩١٠م) [١]

وهكذا يتضح أنه كانت هناك بدايات خطط لها جيداً ، ولو كتب لها الاستمرار لكان لتراثنا شأن آخر بين معارف وعلوم الأمم التي سبقتنا حينما أحسنت التخطيط لإحياء تراثها بغية الانتفاع به .

(١) راجع : التراث والمستقبل ، د.محمد عمارة ، ص ٢١، ٢٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط١، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

الفصل الثاني : المداخل الصحيحة للتعامل مع التراث

المبحث الأول : التمسك بالتراث وإبراز ضرورته وصلاحيته للواقع

إن أفضل رد على مدعي ضرورة نبذ التراث ومخاصمته ، وإهالة التراب على كل جميل فيه ، ما ذكره محمد حسين هيكل الذي كان واحداً من دعاة التغريب ، ثم أصبح واحداً من أهم المدافعين عن الإسلام، حيث يقول: " حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لنتخذها جميعاً هدى ونبراساً ، لكنني أدركت بعد لأىً أنني أضع البذر في غير منبته فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ولا تنبت الحياة فيه ، وانقلبت ألتمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعين موئلاً لوحي هذا العصر ينشأ فيه نشأة جديدة فإذا الزمن وإذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح سبباً لبذرة جديدة .

وروَّأتُ فرأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر ، لذلك لم يكن لنا مفر من العود إلى تاريخنا نتلمس فيه مقومات الحياة المعنوية لنتقي الخطر الذي دفعت الفكرة القومية الغرب إليه " (١) .

وهذا يعني أن تراثنا مليء بالقيم التي تثري الواقع وتعيد بناءه مرة أخرى لنقدم للعالم أجمع النموذج الفريد كما قدمه أسلافنا وأجدادنا من قبل .

وأورد هنا واقعة من تاريخنا تؤكد ذلك وتبرهن عليه

أورد الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) أن ابن يونس سمع الإمام مالكاً يقول : " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه " لقد أدركت في هذا المسجد – يقصد المسجد النبوي – سبعين ممن يقول : قال فلان قال رسول الله عليه السلام ، وإن أحدهم لو ائتُمِن على بيت مالٍ لكان به أميناً ، فما أخذت منهم شيئاً ؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم

(١) اغتيال العقل ، د. برهان غليون ، ص ١٦٢ ، سابق .

علينا الزهري ، وهو شاب ، فنزدحم على بابه [١] .

وهذا يعني أن احترام التخصص قيمة كبرى أعلى تراثنا الإسلامي من شأنها وعمل على نشرها بين أروقة العلم وذوي الفكر والثقافة ، مع عدم اتهام أحد في إخلاصه ودينه ، والأمثلة على ذلك من تراثنا أكثر من أن تحصى أو تعد .

وهذا لا يعني أن تراثنا خلو من السلبيات والإشكاليات ، فهذا لا يدعيه منصف نظر في أعماق التراث بعين التأمل والتفحص ، بل إننا نعترف بأن تراثنا – باعتباره جهداً بشرياً، ونتاجاً إنسانياً – حمل وجهات نظر خاطئة ، واجتهادات حادت عن جادة الصواب .

لكن السؤال المطروح : ما العمل ؟

والجواب : ضرورة التعامل مع التراث بواقعية بحيث " نطور الإيجابي، ونهذب السلبي ، ونحل ما فيه من مشاكل ، فكما لا نستطيع أن نغير موقعنا الجغرافي ، أو نستبدل وطننا الصحراوي بغيره ، بل علينا حمايته وتطويع الصحراء للإفادة منها ، فإن عشنا نبكي هذا الإرث الصحراوي ، فلن نغير شيئاً ، ولن نحصل على وطن آخر ، وقد نفقد الموجود ، إذاً علينا أن نحول الصحراء إلى مستودع لطاقة بديلة ، ولأنواع من الزراعة الجديدة المناسبة ، لكن من لا يرونه إلا بعين غربية ، ومن يتربى على كرهه فلن يستطيع أن يفهمه أولاً ، ولن يتحمس لتثميره وتطويره " [٢]

وصلاحية تراثنا لاستلهام الواقع منه ما يمكن أن يصنع واقعاً متميزاً، وبالتالي مستقبلاً باهراً ، تظهر معالمها بجلاء من خلال الوقوف على أبرز خصائصه والتي من أهمها :

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٥/ ٣٤٣ .
(٢) حوار حول التراث والحداثة ، د. نعمان عبد الرازق السامرائي ، ص ٢٦ .

أ- التكامل والشمول :

فهو تراث ديني وعلمي وأدبي ، شامل لكل ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي ، كما أنه يجمع بين الاستقلالية والحفاظ على الهوية ، وبين الانفتاح السهل على ثقافات العالم المختلفة .

وإذا كان علماء تصنيف العلوم يقررون أن العلوم تنبثق من شجرة ذات غصون ثلاثة وهي : علوم الآلات ، وعلوم الغايات ، وعلوم الحكمة ، فإن كنز التراث العربي والإسلامي قد حوى كل هذه العلوم الثلاثة .

وكلها تنتظم في سلسلة حلقاتها متراصة ومترابطة ، فإذا كانت علوم الغايات تعني علوم الشريعة ، وهي كل العلوم المتصلة اتصالاً مباشراً – من حيث الغاية – بما يلزم المسلم إتيانه في الحياة ، فإن علوم الآلات هي بمثابة المقدمات التي تعتمد عليها نتائج علوم الغايات ، وأضرب مثلا لذلك : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1] يتعامل معها علم التفسير فيقول : إن الله تعالى يأمرك بإقامة الصلاة على جهة الوجوب ، ثم يأتي عالم الفقه والأصول ويشرح معنى الوجوب ، ثم يأتي عالم اللغة فيصحح استنباطهما ، فيقول : (أقيموا) فعل أمر ، فهو يدل على الوجوب ، ثم يوضح علم البلاغة أن هذا الفعل لم تصاحبه قرينة تصرفه عن الوجوب إلى الاستحباب مثلاً ، فعلوم اللغة هي التي أمدت الفقيه والمفسر بهذه المعارف [2] ، لكن الدائرة لا تكتمل ، والبنيان لا يصل تمامه إلا بعلوم الحكمة ، لقد رأينا الفقيه يبين حكم الوجوب في الصلاة ، ومن اللغة فهمنا علة الوجوب ، لكن كيف نصلي دون أن يضبط لنا عالم الفلك الميقات الزماني ، ودخول الوقت ؟ معنى ذلك أننا لا نستطيع الاستغناء عن هذه العلوم ، فكلها علوم نافعة .

---

(١) البقرة :٤٣ .

(٢) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، د. خالد فهمي ، د. أحمد محمود ، ص ٣١ ، ٣٢ ، مركز تراث للبحوث والدراسات ، ط١ ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م .

ب- الاعتماد على الدليل :

طالب الحق هو الوحيد الذي يحرص على الدليل ، وفكرة استصحاب الدليل هي اليقين في أن التراث العربي والإسلامي طالبُ حق، وهذا داخل في كل العلوم والمعارف التي اشتمل عليها التراث ، فدراسة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة لا يكتمل فهمها إلا بتقديم الشاهد النحوي أو الصرفي أو البلاغي ، وعلم الفقه لا يُبْنى إلا على الدليل ، وعلم أصول الفقه لم يؤسس إلا على الدليل ، كما أن علم العقيدة شمل الدليل النقلي والعقلي معاً، وهذا هو عين ما قصده فيلسوف الإسلام ابن رشد بتصنيفه لكتاب (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) [١] ، بل إن علماء علم الكلام قد أدخلوا النظريات العلمية الحديثة كدليل صدق على قضايا العقيدة الكبرى كما فعل د. وحيد الدين خان في استدلالاته على اليوم الآخر في مؤلفه " الإسلام يتحدى " ومعنى ذلك أن من أهم طاقات القوة في هذا التراث أنه – لو أحسن فحصه وتأمله واستخدامه – ينتج جيلاً من البشر لا يسلم لأي نظرية معرفية ما لم تكن مستصحبة دليلاً عقلياً أو نقلياً " [٢]

ج- امتداد التراث زماناً ومكاناً :

يمتد التراث الإسلامي منذ خمسة عشر قرناً من الزمان وإلى الآن ، والتاريخ يحدثنا أنه لا يوجد على ظهر المعمورة تراث مكتوب لأمة أخرى قد شغل هذه المدة الزمانية ، " فكل الأمم تبدأ حياتها الفكرية بقليل من موروثات الآباء ، ثم تنمو الحركة الفكرية في عصر الازدهار والرخاء ثم تمر بخطوط بيانية بين ارتفاع وانخفاض ، بل ويمحى التراث أحياناً بمحو الأمة وإن بقيت

(١) تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة التراث الفلسفي العربي بمركز دراسات الوحدة العربية ، مع مقدمة لـ د. محمد عابد الجابري ، ط١ ، ١٩٩٨م .

(٢) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، ص ٣٤ .

بقية تدل عليه " [١] أما تراثنا فهو ممتد وموصول من الناحية التاريخية ، لم يشهد انقطاعاً في أي جيل من أجيال هذه الأمة .

بل هو " حاضر معنا وفينا في مستويات شتى من الوجود الاجتماعي؛ فهو يتجلى في المعيش اليومي ، في المساجد والكتب والمخطوطات والمؤتمرات والخطب ، تجسيداً مادياً محسوباً ،وهو إلى ذلك " مخزون نفسي في الجماهير " يوجه سلوك الناس ، وقد يمثل عزاء لهم في ما هم فيه من ضيق عيش وقلة حيلة ... فالتراث ليس حالة مَتْحفية للزينة والتفاخر ، بل هو حيٌّ يفعل في الناس " [٢].

فتراثنا يمتد فينا ويُحايثنا ،ونعيشه كحقيقة وجودية يومية ، وإن نحن خِلْنا أن الصلة به انقطعت أو تراخت وشائجها [٣].

" صحيح أن ثمة تفاوتاً في الكمية المنجزة في صورة مكتوبة من عصر إلى آخر زيادة ونقصاً ؛ تبعاً للوضعية الحضارية للأمة عموماً ، وصحيح أن ثمة تفاوتاً في القيمة المنجزة من هذا التراث المدوَّن ريادة وتقليداً، لكن غياب المنجز الفكري لم يكن قط " [٤]

د – انضباط المنهجية العلمية :

تصاعدت في الآونة الأخيرة وتيرة الاحتكام إلى ضوابط المنهج العلمي في تناول القضايا الفكرية والعلمية والثقافية ، وتجاوبت فئة ليست بالقليلة مع هذا النداء ، وقالوا الخير كل الخير في اعتماد المناهج العلمية التي وضعتها أروقة العلم الأوروبية بعد خروجها من عصور الظلام ، ونسيت

(١) التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس ، د. بكر زكي عوض ، ص٢٧ ، سلسلة قضايا إسلامية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ، عدد ١٢٥ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) نقد التراث ، عبد الإله بلقزيز ، ص ١٦٢ ، سابق .

(٣) نقد التراث ، عبد الإله بلقزيز ،ص ١٦٢ .

(٤) مدخل إلى التراث العربي والإسلامي ، د. خالد فهمي ، ص ٣٥ ، مرجع سابق .

هذه الفئة أن المنهجية العلمية كانت السمة البارزة للتراث العربي والإسلامي، وأن علماء المسلمين كانوا خير من التزموا بضوابط هذا المنهج العلمي قبل أوروبا بعدة قرون ، ولعل كتاب (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) [١] للدكتور / علي سامي النشار خير دليل على هذا ، وقد برزت هذه المنهجية في عدة إجراءات يمكن إجمالها فيما يلي [٢]:

- جمع المادة العلمية من مظانها المختلفة ، واستقراؤها .
- ملاحظة المادة المجموعة ، أو الظاهرة موضع الدراسة .
- تصنيف المادة العلمية في أصناف وأنماط يجمع بينها عامل مشترك حسب القضية المدروسة .
- المناقشة والتحليل .
- الترجيح بين الآراء إثباتاً ونقداً ، وتوثيقاً ونقضاً ، وتضعيفاً وتقوية .
- دعم الأحكام بأدلتها الإجمالية أو التفصيلية .

(١) دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
(٢) مدخل إلى التراث العربي والإسلامي ، ص ٣٦ .

المبحث الثاني : فهم المقاصد المتغيَّاة من التراث

كل علم من علومنا الموروثة (الدينية ، والدنيوية) كان له ولا يزال مقصد نبيل عمل جاهداً على تحقيقه وتطبيقه ، فعلم التفسير كان مقصده الوقوف على أسرار وبدائع النص القرآني ، وعلم الحديث كان مقصده حفظ النص النبوي من الضياع ليظل قائماً في ذاكرة الأمة، ووضْعَ سياج من الحماية حوله للحيلولة دون تطرق ما هو مكذوب عليه ، وتصفيته مما تسلل إليه مخترقاً سياجه المتين ، وعلم الفقه كان مقصده بيان الأحكام الشرعية واستنباطها من أدلتها التفصيلية والتي رسمت معالمها من خلال علم أصول الفقه ، وتبلورت في علم المقاصد الشرعية على يد الشاطبي في الموافقات ومن جاء بعده ، وعلم اللغة كان مقصده ضبط الفهم لمدلولات الكلمات العربية ، وعلم الفلك كان مقصده ضبط الأوقات ودارات الفصول لتحفظ على الأمة عباداتها ومعاملاتها الحياتية ، وعلم الطب كان مقصده إقامة البنيان الإنساني إقامة سليمة تمكنه من تحقيق المراد الإلهي من خلقه والمتمثل في عمارة الأرض وعبادة الرب ، وتبعه في ذلك علم الصيدلة ، وعلم الهندسة كان مقصده تحقيق الجمال العمراني والمحافظة على خصائص العمارة الإسلامية من بيوت ومساجد وبيمارستانات ، وغيرها ، وهكذا اتسم التراث الإسلامي برصد المقصد المُتَغيَّا من كل علم من العلوم ثم الانطلاق إلى تحقيق هذا المقصد في دائرة الشرع الحنيف .

وما لا شك فيه أن كل مجال من هذه المجالات قد تأثر سلباً حينما غاب مقصده عن بعض من تصدَّر للتصنيف والتأليف فيه ، وبالمثال يتضح المقال :

فالإسرائيليات التي حُشيت بها كتب التفسير غاب عن مدونها مقصد علم التفسير ، والأحاديث الموضوعة ، والمتعارضة مع القرآن الكريم غاب عن مُدوِّنها مقصد تدوين النص النبوي الشريف ، وإصرار بعض شُرَّاح الحديث النبوي على إثبات ما لا يمكن قبوله عقلاً ولا منطقاً كإثبات الإمام

ابن حجر العسقلاني صحة قصة الغرانيق [١] يدل على تشوش الرؤية للمقصد الأسمى ، وورود أحكام فقهية تتنافى مع كل منطق سليم وذوق رفيع، فضلاً عن تعارضها مع نصوص الوحي المعصوم هو دليل على غياب المقصد وفقدانه الأمر الذي دفع إلى إثارة الشبهات حول هذه العلوم التي لم تشهد لها الدنيا في أصلها مثيلاً .

والمطلوب قراءة كل مجال من مجالات التراث الإسلامي في ضوء المقاصد المتغيَّاة من تدوينها فما وافق منها مقصده قبلناه وما حاد عن مقصده أعملنا فيه مباضع التشريح إما لعلاجه أو استئصال شأفته .

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، ص ٥٤١ ، دار الحديث القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

المبحث الثالث : المراجعة للتقويم لا للهدم

إذا كان غيرنا قد نظر في تراثنا بنظرات النقض لمادته ، والانتقاص من قيمته ، وتبعه بعض من أعجب بأفكارهم من أبناء جلدتنا ومن ينتمون لأمتنا من العلمانيين والحداثيين والليبراليين ومن سار في ركابهم ، فإن واجبنا يحتم علينا أننا أولى بالنظر في تراثنا مثل ما نظروا ، لكن بمنظار مختلف عن منظار هؤلاء .

وأقصد بهذا المنظار منظار المراجعة ، وهو مبدأ قرآني أصيل في ديننا ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [1] ، ومثلها مئات من الآيات تشير إلى ضرورة النظر في الماضي ، ومحاولة فهمه ، ووعي الدرس منه ، والوقوف على نقاط الضعف والقوة فيه ، وخطوط الاستقامة والانحراف ، " والقرآن الكريم يكاد أن يكون ثلث آياته مكرساً للنظر في هذه الأمور ، دراسة أحوال من سبق دراسة لا يمكن أن نتجاوزها " [2] .

لكن الملاحظ أن هناك عوامل عدة حالت بين العديد من المراجعات التي كان من الممكن أن تُحدث نقلة نوعية في عالم الإفادة من التراث ، ومن أهم هذه العوامل :

أ- **الخلط بين مكانة العالِم ورأيه :**

مما هو مأثور في تراثنا المقولة الشهيرة للصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه " اعرف الحق تعرف أهله ، فإن الحق لا يُعرف بالرجال ، ولكن الرجال هم الذين يُعرفون بالحق " ، لكن هذه القاعدة تم إهمالها في العديد من مجالات التراث ، وخاصة مجال العلوم الشرعية فتم التسليم بآراء كان ينبغي النظر فيها وعرضها على محك العقل والنظر ، وفي

(١) الفرقان: ٤٠ .

(٢) مقدمة في إسلامية المعرفة ، د. طه جابر العلواني ، ص ١٢٦، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

ذات الوقت حفظ لنا التاريخ مراجعات فكرية لآراء علماء أثبات حتى من تلامذتهم المقربين ، وما خبر ما أبداه الصاحبان محمد بن الحسن الشيباني وأبو يوسف من انتقادات على آراء شيخهما أبي حنيفة عنا ببعيد ، وهذا درس ينبغي علينا تعلمه والالتفات إليه حتى نفرق بين النقد للآراء بغية تصويبها ، وبين السب والهجو والانتقاص من قيمة العالم .

ب- الخوف من الخروج على الإجماع :

الاجتهاد في ديننا عمل يثاب القائم به حتى ولو لم يصب كبد الحقيقة طالما أنه يدور في فلك البحث عن الحق يدور معه حيث دار ، يقول رسول الله ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» [(١)] ، وقد أحجم العديد من العلماء عن التصريح بمراجعة بعض الآراء التي استقرت في عقول وأذهان الناس خوفاً مما سيحدث لها من هجوم أقرانه أو حتى من العوام ، خاصة وهو يرى ما حدث لمن طوَّعت له نفسه فاجتهد وأبدى ما يعتقد صوابه ، وكتب التراجم للأعلام تذخر بالعديد من الشواهد على ذلك ، أمثال الأئمة الأربعة ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم، ومن هنا انتشرت في وقت من الأوقات المقولة الشهيرة : " في هذا الرأس شيء لو بحت به لخشيت أن يحدث كذا وكذا " على لسان العديد من علمائنا [(٢)].

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، ك الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث رقم (٧٣٥٢) ، والإمام مسلم في صحيحه ،ك الأقضية ، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث رقم (١٧١٦) .

(٢) وهناك عدد من العلماء المعاصرين خرجوا عن طوق هذه المقولة التي أضرت أكثر مما نفعت فأوذوا إيذاء شديداً ، وحسبهم أنهم قدموا لنا نماذج تمثل نبراساً على الدرب ، وعلى رأسهم الشيخ محمد الغزالي حينما نقد العديد مما علق في تراثنا الفكري من شوائب من خلاله مؤلفاته : السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، والطريق من هنا .

المبحث الرابع : استقامة منهج التعامل مع التراث

سبق أن ذكرت أن من أكثر المداخل الخاطئة للتعامل مع التراث الإسلامي خطراً الخلل في المنهج المتبع في التعامل مع سواء كان هذا الخلل في قضايا التراث ذاته ، أو في التأريخ للتراث ، ومن ثمَّ فإن من أسس المداخل الصحيحة للتعامل مع التراث وضع منهجية تكون أشبه بالمرآة التي يتبين من خلالها وضوح الرؤية ، وبالتالي الوصول للهدف .

وقد تعرض لهذه القضية عالمان معاصران أجادا فيها وأفادا ، وسأعرض هنا المعالم العريضة التي رسماها لمنهجية التعامل مع التراث .

أولهما : الأستاذ الدكتور / طه جابر العلواني [1]

حيث يرى فضيلته أن المنهجية التي يجري التعامل بها مع التراث لتجديده يجب أن تقوم على :

١- أن لا نرفض التراث رفضاً قاطعاً كما يفعل العلمانيون .

٢- عدم تبنيه بالكامل كما يفعل الماضون .

٣- عدم الانتقاء العشوائي غير الملتزم بمنهج علمي .

والمنهج الذي اعتمده العلواني يقوم على :

١- الكشف عن القاعدة المعرفية التي ينطلق منها الناس في بناء أفكارهم ، ورؤيتهم للإنسان والكون والحياة ، وهذه الرؤية المتكاملة تشكل القاعدة التي ينطلق منها الناس في بناء أفكارهم ومقاولتهم فإذا حمل الإنسان

(١) ولد عام ١٩٣٥م في مدينة الفلوجة بالعراق ، وتلقى تعليمه الأولي بها ، ثم حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٥٣م ، ثم الليسانس من كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر ١٩٥٩م ، ثم حصل على الماجستير والدكتوراه من نفس الكلية في تخصص أصول الفقه ، من المؤسسين للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية ، له عشرات المؤلفات ومن أبرزها : نحو التجديد والاجتهاد ، معالم في المنهج القرآني ، نحو منهجية معرفية قرآنية ، مقدمة في إسلامية المعرفة ، توفي في مارس عام ٢٠١٦م . انظر : طه جابر العلواني تجليات التجديد في مشروعه الفكري ، إبراهيم سليم أبو حليوة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١ م ، والموقع الرسمي للدكتور / طه جابر العلواني .

رؤية صحيحة عن الكون والإنسان والحياة ، وعن خالق الكون والحياة والمعرفة صحت أفكاره ، وهنا يكون القرآن هو الحاكم والمرجعية .

٢- الجمع بين القراءتين (قراءة الوحي المسطور – قراءة الكون المنظور [١].

فكل تراث جمع بين هاتين القراءتين صلح التعامل معه بداية ثم نقوم بتقفي أثر المنهجية السليمة في التعامل معه ، وبالتالي فقد عقد العلواني مقارنة بين التراث اليهودي الإسرائيلي وبين التراث الإسلامي فوجد الأول يعتمد على قراءة واحدة وهي القراءة المادية البحتة ، وأما الثاني فقد جمع بين القراءتين [٢] .

ولذلك يرى فضيلته أن غياب المنهجية السليمة للتعامل مع التراث ومحاولة فهمه هو أكبر خطأ وقعت فيه جماعات العنف ، حيث قاموا باستدعاء التراث الفقهي وتنزيله على الواقع والحكم به على الوقائع المستجدة [٣] .

ثانيهما : الأستاذ الدكتور : خالد فهمي [٤]

حيث يرى فضيلته أن التعامل مع التراث يتم من خلال مفاتيح تشبه مفاتيح الخزائن ، وقد قسَّم هذه المفاتيح [٥] إلى مجموعات ثلاث :

---

(١) انظر : مقدمة في إسلامية المعرفة ، د. طه جابر العلواني ، ص ١٣٥ – ١٣٨ .

(٢) انظر : مقدمة في إسلامية المعرفة ، ص ١٣٨ – ١٤٠

(٣) جماعات العنف ، د. طه جابر العلواني ، حوار : إسلام عبد العزيز فرحات ، إسلام أون لاين ، https://archive.islamonline.net/?p=105 ، ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٨ م .

(٤) أستاذ اللغويات بكلية الآداب ، جامعة شبين الكوم، ولد عام١٩٧٠م ،حاصل على الماجستير من كلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس ، وحاصل على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة المنوفية ، شغل منصب رئيس دار الكتب والوثائق القومية ، وعضو المجلس العلمي لدبلوم علوم المخطوطات بمعهد المخطوطات العربية ، له مؤلفات عديدة من أبرزها : " تراث المعاجم الفقهية في العربية " ، و " اللغة والمئذنة: دراسات في إسهام اللغة في فكر الإسلاميين المعاصرين " ، و" في تحقيق النصوص ونقد الكتب دراسات ومراجعات " . انظر : مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، ص ٢٧٦ .

(٥) يرى فضيلته أن هذه المحاولة هي الأولى فيما يعلم . انظر :مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، ص ٤١ .

أ- **مجموعة المفاتيح الإدراكية (مفاتيح الوعي)** : وقد أدرج تحت هذه المجموعة الإدراكية مفاتيح أربعة فرعية :

١- مفتاح إدراك روح التراث والوعي بخصائصه .

٢- مفتاح الوعي بمقاصد التراث العربي الإسلامي .

٣- مفتاح الوعي بآداب التعامل والسلوك مع التراث العربي الإسلامي .

٤- مفتاح الوعي بوظائف التراث في الحياة المعاصرة [١] .

ب-**مجموعة المفاتيح المعرفية** : وقد أدرج تحت هذه المجموعة مفاتيح ثلاثة فرعية تمثلت فيما يلي :

١- مفتاح معرفة موضوعات العلم ، وقد أجملها في موضوعات ثلاثة ،وهي العلوم الشرعية ، والعلوم العربية ، والعلوم الحكمية [٢] .

٢- مفتاح العلم بعلاقات النصوص .

٣- مفتاح العلم بمستويات المؤلفين ومذاهبهم [٣] .

ت-**مجموعة المفاتيح الإجرائية (الأدوات)** : وقد أدرج تحت هذه المجموعة مفتاحين ،وهما :

١- مفتاح العلم بالمصادر العامة وإتقان التعامل معها .

٢- إتقان التعامل مع المفتاح اللغوي : (الأداة اللغوية) [٤] .

وأرى – والله أعلم – أن كل مفتاح ورد ذكره في هذه الدراسة الشمولية لمنهجية التعامل مع التراث العربي الإسلامي جدير بدراسته على حدة دراسة متعمقة ، وشاملة ، فالرجل قد وضع رؤوس موضوعات تحتاج إلى تحليل دقيق يقف بنا على ثراء تراثنا الذي تم تجهيل الأجيال به على مدى عشرات السنين الماضية .

---

(١) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، ص ٤٢ – ٤٦ .

(٢) وقد وضع د. فهمي قائمة من المؤلفات تدل طالب العلم على المصنفات التي صنفت في كل علم من هذه العلوم الثلاث .

(٣) مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، ص ٤٩ – ٥٢ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٣ – ٥٧ .

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع المداخل الصحيحة والخاطئة في التعامل مع التراث الإسلامي ، وبعد المعالجة لكلا المدخلين توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولاً : النتائج :

١- تبين من خلال البحث أن النظرات الفاحصة للتراث الإسلامي سواء لبعض التراثيين أو الحداثيين قد تباينت مداخلها لدراسته بين ما هو صحيح وما هو خطأ .

٢- تشتت الجهود المبذولة في إحياء التراث وغياب التنسيق بين الهيئات المنوط بها القيام بهذه المهمة الجليلة .

٣- التراث المتعلق بالعلوم الشرعية من علوم القرآن ، وعلوم الحديث ، وأصول الدين ، والمقاصد الشرعية والفقه وأصوله ، والسيرة النبوية ، وكذا العلوم اللغوية بشتى فروعها وفنونها ، كلها في حاجة ملحة إلى اجتهاد متجدد باستمرار بحكم ما يتجدد من وقائع وأحداث .

٤- حاجة الدراسة التراثية إلى إيجاد " تركيبة : تجمع بين معطيات التراث الإسلامي ، ونتائج العلوم العصرية بما يساعد على تحقيق غايات الإسلام العليا .

٥- قدَّم المبحث الرابع من الفصل الثاني نماذج تنظيرية لما طبقه عالمان من علماء المسلمين في استقامة منهجهم في التعامل مع التراث وهما: د/ طه جابر العلواني ، د/ خالد فهمي .

ثانياً : التوصيات :

١- توجيه الباحثين بطريقة منظمة ، ومرتبة للبحث في كافة جوانب التراث ؛ لتسهيل عرضه ، وبسطه ليكون سهل التناول بين الدارسين وطلاب العلم .

٢- لفت أنظار طلاب العلم والدارسين للاطلاع على تجارب العلماء الذين وضعوا مناهج علمية وعملية للتعامل مع التراث .

٣- ضرورة إحياء التراث الإسلامي تحقيقاً ودراسة ونشراً من خلال إقامة مراكز بحوث متخصصة لدراسة التراث وفق أهداف محددة ، وخطة محكمة ، مع الاستفادة من المراكز التي قطعت شوطاً في هذا المجال كمركز جمعة الماجد بدولة الإمارات .

٤- الحاجة إلى ترجمة العديد من كتب التراث المحققة إلى اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والإندونيسية والأوردية والتركية حتى تعود بالنفع على الباحثين والدارسين .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المصادر والمراجع :

١- أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، تحقيق : محمد باسل عيون السود .

٢- اغتيال العقل ، د. برهان غليون ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٦م .

٣- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة التاسعة ، ٢٠٠٩م .

٤- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الزَّبيدي ، دار الهداية ، د. ت .

٥- التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمدادات ، د. إبراهيم السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

٦- تجديد المنهج في تقويم التراث ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م .

٧- التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس ، د. بكر زكي عوض ، ، سلسلة قضايا إسلامية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية ، عدد ١٢٥ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .

٨- التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، حسن حنفي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٢م

٩- التراث والمستقبل ، د.محمد عمارة ، دار السلام للطباعة والتشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م .

١٠- التراث والمعاصرة ، د. أكرم ضياء العمري ، سلسلة كتاب الأمة ، الطبعة الأولى ، شعبان ١٤٠٥هـ .
١١- حوار حول التراث والحداثة ، د. نعمان عبد الرازق السامرائي ، سلسة كتاب الأمة ، العدد ١٧٠ ، ١٤٣٦هـ.
١٢- حياتي ،أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، الطبعة الأولى،٢٠١٢م .
١٣- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة.
١٤- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ،الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ
١٥- صحيح مسلم ،مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ،الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ
١٦- طه جابر العلواني تجليات التجديد في مشروعه الفكري ، إبراهيم سليم أبو حليوة ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م .
١٧- الغارة على التراث الإسلامي ، جمال سلطان، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
١٨- الفتاوي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د. ط ، د. ت .
١٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٢٠- قطوف أدبية – نصوص نقدية – دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث ، د. عبد السلام هارون ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

٢١- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، د. ت .

٢٢- مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٣- مدخل إلى التراث العربي الإسلامي ، د. خالد فهمي ، د. أحمد محمود، مركز تراث للبحوث والدراسات ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م .

٢٤- مقدمة في إسلامية المعرفة ، د. طه جابر العلواني ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٢٥- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

٢٦- نقد التراث ، د. عبد الإله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٤ م .

٢٧- نقد الخطاب الديني ، نصر حامد أبوزيد ، سينا للنشر، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م .